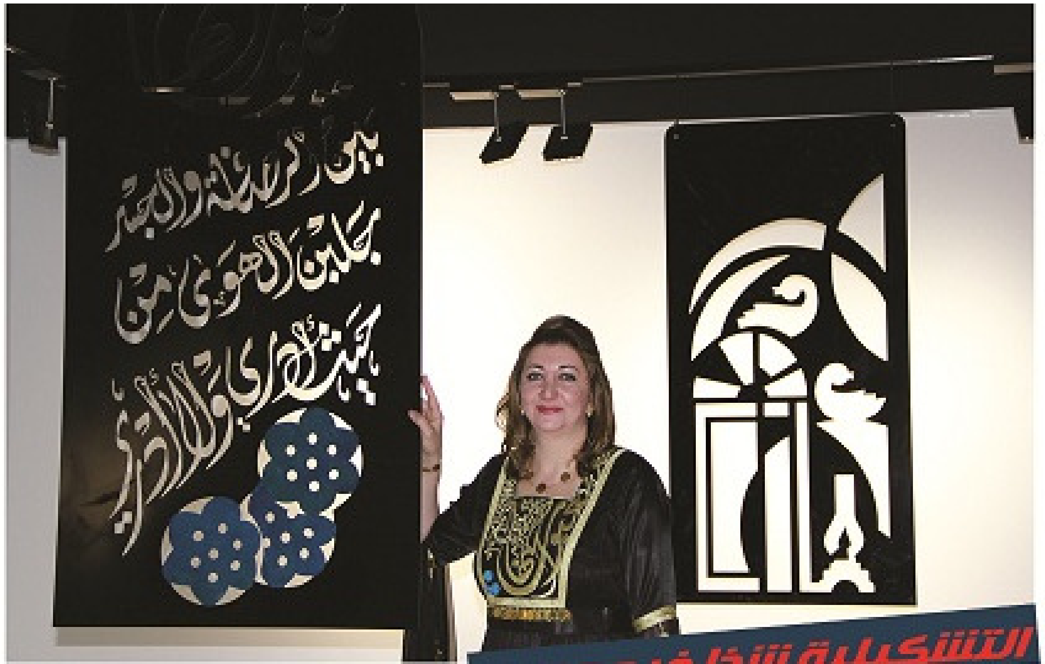

التشكيلية شذا فرج عبو:

الأسود لا يعرف طريقاً للوحاتي!

الدوحة: منى سعيد الطاهر

تنتمي لعائلة فنية معروفة.. والدها هو أحد رواد الفن التشكيلي العراقي. مؤلفاته مازالت تدرس في أكاديمية الفنون الجميلة ببغداد.. حصلت على الدكتوراه في التصميم من جامعة بغداد، وقامت بالتدريس فيها لأكثر من 15 عاماً.. لم تكتف بعملها الأكاديمي بل جربت الرسم والتصميم فكان لها العديد من المشاركات في المعارض داخل العراق وخارجه إلى جانب معارضها الشخصية. أعمالها مزيج من التراثين العراقي حيث ينتمي والدها والأرمني حيث تنتمي والدتها. تقيم في الدوحة منذ سنوات، ومؤخراً أقامت معرضاً في المنطقة الثقافية (كتارا) بعنوان (بين البنائية والجشتالت)، أثار ضجة في الوسط الثقافي القطري لما يحمله من أفكار فلسفية عميقة تطرح للمرة الأولى ضمن لوحات وأعمال تصميم. إنها الفنانة العراقية د. شذا فرج عبو النعمان، التي كان لنا معها الحوار التالي:

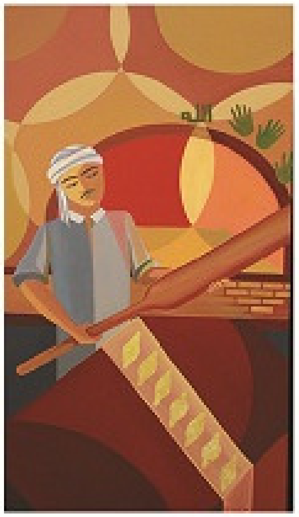

* (بين البنائية والجشتالت) عنوان معرضك الذي يبدو اسماً شيقاً للمتلقي، فعلى أي أساس اخترت هذه العنونة؟

الجشتالت والبنائية نظريتان تشغلان حيزاً كبيراً من تفكيري، فمنذ ثلاثين عاماً وأنا أناقش هاتين النظريتين الفنيتين في ذهني وأراجع مسائل عديدة عنهما وأتساءل: ترى هل هما متضادتان بالفعل أم يمكن الربط بينهما؟! والجشتالت مدرسة ألمانية تنص على أن (المساحة) العين تساعد المتلقي على فهم الكل ثم الجزء، وهي على النقيض من البنائية التي تجزئ الشكل لعناصره الأساسية، وتؤكد على إدراك البصر والعقل اللذين ينتقلان من الجزء ثم الكل.

* كيف جسدت هذه الأفكار في أعمالك؟

بدأت أولاً في تطبيق الجشتالت على واحدة من لوحاتي، وأثناء العمل على توزيع عناصر الإنشاء البصري شرعت في استخدام أجزاء الدائرة وتوزيعها وفق مبدأ البنائية.

وحينها وجدت أن من الممكن القيام بذلك، لكنني إلى حد ما أخذت أتفنن في تنفيذ كل عمل وفكرة بالتركيز على نظرية من الاثنتين، وإضعاف إحداها على حساب الأخرى.

* هل نجحت في تجربتك هذه؟

أعتقد أنني وفقت في الربط بينهما وهذا هو هدفي، فلم أرد إلغاء أي منهما، فعلى سبيل المثال في لوحتي التي أطلقت عليها اسم (الأخوين) لن تكتشفي تفاصيل العمل حتى تدققي جيداً في اللوحة، لكنك في المفهوم العام ستدركين أنهما وجها امرأتين.

* يرسم الفنان بشكل عفوي عادة ليعبر عما يجول بخلده من مشاعر وأفكار، كيف تجدين عفويتك إزاء هذين المفهومين؟

أتعامل بعفوية تامة أثناء إنجازي مخططات لوحاتي، فأنا لدي حرية تامة أثناء التنفيذ، سواء من ناحية التعامل مع المساحات أو الفكرة التي تضغط علي لكي ألتزم بها 100%، فالفكرة خيال وإلهام أضعه على الورق أو قماش اللوحة قبل أن أنفذه.

* لكن ألا ينم هذا عن التخطيط والنظام؟

نعم، وهذا هو أسلوبي، فالعفوية قد تنتج أعمالاً جيدة، لكنها لا تحمل فكراً مؤثراً، وبعضه هامشي، كما أن الفنانين العفويين لا يضعون فكرة قبل العمل بل العمل يقودهم إلى الفكرة. عامة لكل لوحة من لوحاتي قصة لها بداية ونهاية، وتحمل ذكرى ما في حياتي، فلوحاتي تقص حكايات تجاربي وصداقاتي وعلاقاتي الأسرية والاجتماعية، فعلى سبيل المثال في لوحة (الديك) طلبت عروضاً كثيرة لشرائها أثناء المعرض لكنني رفضت كونها تحمل ذكرى خاصة لي، إذ تعيدني لديك الجيران الذي طالما أيقظني بصياحه صباحاً قبل التوجه لمدرستي أو الجامعة.

وكان معلماً شعبياً مميزاً لمخيلتي، ورسمته بألوان حارة، بعد عودتي من رحلة إلى أرمينيا حيث موطن والدتي، تأثراً بمزاج منتعش وبسريرة منفتحة.

* دراستك التصميم الصناعي، وأبحاثك أحد المراجع المعتمدة في الجامعة، هل أثرا على أسلوبك الفني أيضاً؟

لقد مثلت دراسة التصميم الصناعي بالنسبة لي وعلى الدوام هاجساً فدائماً ما كنت أفكر في كيفية تطبيق ما درسته على الشكل الفني.

ولهذا السبب خصصت جزءاً في معرضي قدمت خلاله أعمالاً حاولت فيها تحقيق خامات صناعية متنوعة بعضها مثل الخشب، والبلاستيك، والألمنيوم، وذلك بتفريغ هذه الخامات وفق أشكال معينة وتركيب بعضها بعضاً أي تطعيمها أو [illegible] بحسب المصطلح الفني، وربما يعرف أيضاً بفن النحت البارز. لكنني حاولت في الوقت نفسه إيجاد علاقات أصيلة وجديدة تطرح للمرة الأولى في توظيف هذه الخامات خدمة لإيصال فكرة العمل الفني، والذي يروي قصة أو جزءاً ما من تاريخ حياتي.

* والدك هو الفنان فرج عبو أحد أبرز الفنانين التشكيليين العراقيين، حيث مازال كتابه (تاريخ الفن) بجزأيه يدرس في أكاديمية الفنون الجميلة ببغداد، فضلاً عن كتاباته المسرحية، كيف تركت شخصيته الفنية بصمتها على أعمالك؟

لا أستطيع أن أنكر أن لشخصه تأثيراً كبيراً على أعمالي الفنية، وقد ظهر ذلك جلياً خلال معرضي الأخير الذي قسمته جزأين، الجزء الأول قدمت فيه أعمالاً مرسومة على خامتي الكانفاس والورق، متأثرة بطابع المدرسة البغدادية الانطباعية التي كان والدي أحد مؤسسيها، لكن عملي هنا ليس نقلاً أو اقتباساً مباشراً، فقد حاولت جاهدة طرحه وفق رؤيتي الخاصة وفي إطار مناقشة مبدأ فكرة المعرض (بين البنائية والجشتالت).

أما الجزء الثاني من المعرض، فلم يتم طرحه مسبقاً، وليس له ارتباط بالمدارس المعروفة في الفن العراقي، لكن الجامع بينهما هو التاريخ والتراث العراقيين، فضلاً عن ذلك، فقد تأثرت في بعض أعمالي بالتراث الأرمني خصوصاً تلك التي تطرقت إلى الملاحم الفلكلورية.

* ما الجديد الذي تقدمينه؟

التطبيق لنظرية نشأت في الأدب ثم انتقلت إلى الفنون والعمارة، وطبقتها بالرسم الكلاسيكي الانطباعي أولاً ثم بالتصميم المعاصر للنحت البارز، والجديد في التصميم والقديم في الهندسة الانطباعية تناولتهما بموضوع للعرض، وبهذا أثبت أن تطبيق النظرية يمكن أن يتناول بشكل مبدع وأصيل في الفن الحديث، وهذا ما قصدته بجزء التصميم في المعرض في رد على الكثير من تساؤلات العامة والمتخصصين في الفن أيضاً حول قضية تحمل الفن الحديث لفكرة ما، أم هو مجرد عشوائية وفوضوية. الفن بالنسبة لي لابد أن يحمل رسالة ومفهوماً يصلان للمتلقي.

* حدثيني عن الموضوعات التي تناولتها خلال معرضك.

لكل منا خزين حضاري وثقافي يستند إليه ويتأجج في الغربة حتى يصبح عبارة عن فيلم وذاكرة مرئية. هذا الخزين يحيلني لماضيّ ولعائلتي نصف العربية والأرمنية. وذاكرتي الفنية ثرية بعدد كبير من الرموز الشعبية التي ترجمتها بأعمال منها السبع عيون التي تناولتها بشكل مفصل بحيث أشرح خصوصية هذا الرمز العراقي المتوارث من سومر وبابل ولم أجد مثلاً له في دول أخرى على الرغم من تناول موضوع العين التي تبعد الحسد بتصاميم الفنون الشعبية لكن بمفاهيم مختلفة.

فالشجرة الزرقاء سومرياً ترمز للمرأة المخطوبة أي كونها محجوزة، والكف شكل إسلامي يرمز لدرء الحسد. أما الشباك فيعني شيئاً (عوالم أخرى)، إذا كان مغلقاً يشير إلى ما بعده وأمله من قصص، وإذا كان مفتوحاً فيعني دعوة المتلقي لفضاء ثالث، وهكذا يترك بعض الفنانين أبواب لوحاتهم مفتوحة ليمنحوا أبعاداً أخرى، داعين مشاهديهم إلى منظور ثالث أو إلى فكرة أخرى ما بعد فكرة مقدمة اللوحة. بالنسبة لي خلفت الباب والشباك كي يتعلق المشاهد داخل فضاء اللوحة. وشبابيكي مغلقة عدا ما استخدمته في الفن التركيبي فكان الشباك للفراغ في حوار بين فضائي السالب والموجب.

* ما المعنى للتصميمين بالسالب والموجب تحديداً؟

غالباً ما يعتبر سطح اللوحة سالباً، وبالتالي تعتبر عناصر العمل الفني الأخرى تشكيلات أو فضاءات موجبة، لكن عندما يسود حجم الموجب على السالب يكمن هنا السؤال: أيهما السالب، وأيهما الموجب؟! وهذا ما خلق لي متعة خاصة عند تناولي لموضوعات عديدة وزعتها في فضاءات حوارية بين السالب والموجب.

* كيف وجدت ردود أفعال مشاهدي معرضك؟

البداية كان اختياري لعنوان المعرض موفقاً جداً فقد جذب كل من وجهت إليه الدعوة، لذا لجأ بعض من وجهت إليهم الدعوة له وقبل حضور المعرض إلى الإنترنت بحثاً عن مفاهيم البنائية والجشتالت. لكن الطريف أن عدداً كبيراً منهم عندما شاهدوا الأعمال ظنوا أنهم في امتحان اختبار معلومات، في حين حاول البعض الآخر التعرف على ما طرحته وبدأ يسأل ويحاور، باختصار لقد حرك المعرض جواً راكداً في الوسط الثقافي، وأثار الفضول.

* ألوانك كيف تختارينها؟

تتأثر مسألة اختيار الألوان بالتراث العراقي والأرمني ولا أعرف الأسود إطلاقاً في لوحاتي.

* لماذا؟

لأن عجلة اللون لا تحمل الأسود والرمادي وهما من صبغات الطين، وعندما يريد الفنان تعتيم اللون يقوم بعمل خليط من الصبغات، بمعنى آخر يمكن إضافة الأحمر الغامق إلى البني الغامق لتحصل على درجات لونية غامقة، والأسود بالنسبة ليس لوناً بل صبغة فحم، وألوان قوس قزح لا تحتويه. كما أنني أفضل استخدام الأبيض والأسود في توزيع أعمال تصاميم مساحات السالب والموجب في (ريليفات) النحت البارز، وبهذا استخدم خامة حيادية سوداء، وليست صبغاً أسود يمتص كل الألوان، لذا يرمز للشر في بعض المعتقدات، في حين يجمع الأبيض الألوان ويعكسها كلها.